

## المحاضرة الأولى: تعريف البحث العلمي وخصائصه

البحث العلمي عملية نظرية وتطبيقية معقدة، لكنّها منضبطة باعتباره أحد خصائص الإنسان في جميع مراحل تطوره وخاصة إنسان العصور الحديثة الذي سخر بواسطة البحث العلمي كل شيء في محيطه باستعمال كافة الأدوات المتاحة له، العقلية، الحسية والتجريبية، إذن فما هو مفهومه؟ وفيما تتمثل خصائصه؟

### **المبحث الأول: ماهية البحث العلمي**

ليس هناك علم أو تقدم علمي إلا عن طريق البحث، فالبحث العلمي يعتمد على المنهج ويدور معه وجودا وعندما لذلك سوف نتطرق من خلال هذا المبحث إلى تحديد المقصود بالبحث العلمي مع بيان خصائصه وأنواعه.

### **المطلب الأول: تعريف البحث العلمي وخصائصه**

هناك تعريفات كثيرة للبحث العلمي تدور معظمها حول كونه وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به بغرض اكتشاف معلومات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا.

### **الفرع الأول: تعريف البحث العلمي**

إذا لجأنا إلى تحليل عبارة البحث العلمي، فإننا نجد أنها مكونة من كلمتين هما البحث والعلمي.

أما البحث فهو مصدر الفعل الماضي بحث ومعناه طلب، فتنش، تقصى، تتبع، تحرى، وبهذا يكون معنى البحث لغويا هو التحري والتقصي عن حقيقة الشيء ومعرفة مكوناته من المعاني والأفكار والروابط والعلاقات والأسباب.

أما العلمي فهي كلمة منسوبة إلى العلم، والعلم يعني المعرفة والدراسة وإدراك الحقائق، والعلم يعني الإحاطة والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها.

استنادا إلى هذا التحليل فإن البحث العلمي يعني التقصي المنظم بإتباع أساليب ومناهج محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها.

بخصوص التعريف الذي أورده الدكتور عمار عوابدي في كتابه، والذي نص فيه على أن: "البحث العلمي هو وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الدقيق، الذي يقوم به الباحث، بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، تطور أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة على أن يتبع خطوات المنهج العلمي، واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات".

من المعروف أنّ لفظ الباحث لا يطلق إلا على المتصفين بصفات التفكير العلمي ولن يتصف أي شخص بصفة الباحث إلا إذا كان مسعاه وفق خطوات محددة في إطار منهج علمي ذو علاقة بموضوع البحث.

إنّ التعريف المختار يحيط بفكرة البحث العلمي من كل جوانبها فهو يقر بـ:

- أنّه وسيلة للبحث المنظم الدقيق.
- أنّه عمل يقوم به باحث و"لفظ باحث" دقيق ومعبر، بمعنى أنّ البحث العلمي لا بد أن يتصدى له متخصص ذو كفاءة علمية في تخصصه، عالم بقواعد ومناهج وتقنيات البحث العلمي.
- يقوم الباحث بإجراء بحثه بغرض اكتشاف معلومات، فهو عمل هادف وليس عملاً عشوائياً.
- أنّ البحث العلمي من شروطه وصفاته أن يكون وفق منهج علمي، بمعنى أن يكون هذا المنهج من الطرق المعتمدة لدى العلماء في التخصص المراد.
- البحث العلمي تطور وتجديد مستمران في النشاط العقلي الواعي.

### الفرع الثاني: خصائص البحث العلمي

للبحث العلمي جملة من الخصائص تتمثل كالآتي:

- البحث العلمي بحث منظم ومضبوط أي أنّ البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث أنّ المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهياً لذلك.
- كما أن البحث العلمي يقوم على المنهجية العلمية، أي في سبيل الوصول إلى النتائج المأمولة وكشف الحقائق المطلوبة يعتمد فيه الباحث طريقة منظمة تقنية تسمى الطريقة العلمية أو المنهج العلمي التي تجعل من البحث العلمي موثقاً في خطواته ونتائجه من خلالها يستند إلى مجموعة من الخطوات المترابطة والمتكاملة، تجعل من البحث العلمي عملية دقيقة ومعقدة وشاقة وليس مجرد

عملية بسيطة وهينة تستلزم بذل الكثير من الجهد المنظم والفحص الدقيق والاختبار الناقد، والتقصي الدقيق والتحليل النزيه.

- البحث العلمي بحث نظري، بحيث يمكن أن يكون البحث نظرياً صرفاً فلا يحتاج إلى فرضيات تكون محلاً للاختبار والتجريب كما هو الشأن في البحث القانوني، وحتى لو احتاج البحث العلمي إلى صياغة حلول مقترحة ومحملة تأخذ صورة الفرضيات، فإنه من الضروري أن ينطلق من إطار نظري يحدّد من خلاله الباحث الحدود المفاهيمية والإجرائية النظرية لموضوع دراسته، يطرح من خلاله إشكالية الموضوع ويصوغ الفرضيات (الفروض) المحتملة التي تخضع للاختبار والتجريب، هذا الإطار النظري يستعين به الباحث في إعداد بحثه ويكسبه فهماً أفضل لموضوع بحثه.

لكن في المقابل قد يكون البحث العلمي إجرائياً أو ميدانياً أو تطبيقياً يستند إلى إجراء الاختبارات والتجارب على الفرضيات المطروحة وتسجيل الملاحظات ومن هنا تأتي العلاقة بين النظرية والتطبيق هذه العلاقة التفاعلية (علاقة التأثير والتأثر) لأنّ النظرية توجه الباحث وتساعد في تفسير البيانات استناداً إلى مرجعية نظرية محدّدة والبحث يثري النظرية بما يتوصل إليه من نتائج قد تكشف عن بعض الثغرات أو النقائص في النظرية ممّا يؤدي إلى إثرائها أو تعديلها.

بالنسبة إلى البحوث القانونية فهي في أصلها بحوث نظرية، تستعرض نصوص القانون وقرارات واجتهادات لكن يمكن أيضاً أن تتضمن جانباً ميدانياً من خلال استطلاع الواقع والاحتكاك المباشر بمشكلاته موضوع البحث والدراسة، والاستدلال أو الاستئناس بقضايا واقعية وأرقام وإحصائيات تخدم موضوع البحث العلمي تخرج البحث العلمي القانوني من التنظير المجرد إلى التطبيق المجرب كذلك عملياً نجد أنّ كلا من الصّبئية القضائية، القاضي، المحامي، المستشار القانوني وغيرهم، يضطلعون بمهام بحثية ميدانية تدرج في إطار اختصاصاتهم الوظيفية.

- البحث العلمي بحث تخصصي، بحيث أصبح الاختصاص (التخصص) العلمي شرطاً مهماً في نجاح البحث العلمي، من حيث أنّ التخصص يسمح بتطوير المعارف الخاصة بكل ميدان أو فرع من ميادين وفروع العلوم المختلفة، وهذا ما يبرر خاصية التخصص في البحوث العلمية التي صار معظمها يتطلبها ويستدعي أنّ يتم في إطار ميدان أو فرع علمي معين على غرار البحوث المتخصصة في ميدان العلوم القانونية مثلاً.

- البحث العلمي يجمع بين التأمل المجرد وملاحظة الواقع والتجربة، لذلك فهو عمل عقلي وتجريبي في آن واحد لا يمكن الفصل بينهما، فالعقل يضع الفرضيات النظرية ويقترح حلولاً لمشاكل الحياة، ثم يخضعها لاختبارات بغية التحقق من صحة الفرضيات والنظريات الموضوعية، وعليه فلا سبيل إلى بحث علمي دون أن يقترن فيه عمل العقل بالتجربة.
- البحث العلمي بحث كاشفي تفسيري ذلك أنه يستخدم المعرفة العلمية لاكتشاف الحقائق المجهولة أو تفسير الظواهر الموجودة من خلال البيانات التي يجمعها الباحث عن الظاهرة موضوع الدراسة عن طريق البحث والاستناد إلى مجموعات من المفاهيم المترابطة ذات الصلة بموضوع البحث والتي تسمى النظريات أو نقول هو عمل تفسيري يهدف إلى شرح وتعليل الظواهر الفكرية والمادية مهما كانت طبيعتها، وتأويل قوانينها التي تتحكم فيها واستنتاج القوانين والنظريات.
- البحث العلمي بحث حركي وتجديدي بحيث يهدف إلى تجديد وتعديل وتحديث المعرفة التي تمتاز بالتراكمية، عن طريق استبدال متواصل وامتداد مستمر للمعرفة بمعارف أخرى أحدث وأجد، أو محاولة الوصول إلى معرفة جديدة مضافة إلى المعرفة الحاضرة أو القديمة عن الموضوع محل البحث.
- البحث العلمي بحث عام ومعمم: يعتبر البحث العلمي بحثاً عاماً ومعماً من حيث أنه يخدم غايات عامة وليس غايات خاصة تخص الباحث مثلاً أو تخدم أهدافه الشخصية الضيقة، وهو إضافة للمعرفة الإنسانية التي يستفيد منها كل إنسان، ومن ثم فإن نتائج البحث العلمي لا يقف تطبيقها عند المواقف والظواهر أو الأحداث التي جرى عليها البحث، كما تكون نتائج البحث العلمي قابلة للنشر والنقل إلى الغير وللتدليل على صحتها وتكرار الحصول عليها من قبل الغير إذا أعيد البحث في نفس الظروف. وعليه يتضح أن البحث العلمي لا يكتسب الخاصية والطبيعة العلمية أو لا يكتسب أهميته العلمية إلا إذا كانت النتائج والحلول والحقائق التي ينتهي إليها قابلة للتعميم والاستفادة منها عملياً، فتكون في متناول أي شخص، مثل: الكشوف أو الاكتشافات التي تنتهي إليها البحوث الطبية، وهو ما يتحقق كذلك في بحوث العلوم القانونية التي تركز أهداف القانون وغاياته الموجهة أساساً لخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته وحل مشكلاته.